

المسرح الحركي

هو أحد أشكال التعبير المسرحي الذي يعتمد على الجسد بوصفه الوسيلة الأساسية لنقل المعنى، بحيث تصبح الحركة بدلاً عن الكلمة أو مكتملة لها بدرجة محدودة جداً. في هذا النوع من المسرح لا يكون الحوار هو العنصر المسيطر كما في المسرح التقليدي، بل يتحول جسد الممثل إلى لغة حية تعبر عن الأفكار والمشاعر والصراعات من خلال الإيماءة، الإيقاع، التوتر، والانسياب. وبذلك فإن المتلقي لا يستقبل العرض عبر السمع فقط، وإنما عبر الرؤية والإحساس بالحركة، مما يجعل التجربة أكثر عمقاً وتجريداً.

نشأ المسرح الحركي متأثراً بعدة فنون سابقة، مثل البانتومايم الذي يعتمد على التعبير الصامت، وكذلك الرقص التعبيري الذي يمنح الجسد طاقة انفعالية وقدرة على تجسيد الحالات النفسية. ومع تطور المسرح الحديث، بدأ مخرجون ومفكرون مسرحيون بالتركيز على تحرير الممثل من سلطة النص، ومن أبرزهم جاك لوكوك الذي وضع أسساً لتدريب الممثل جسدياً، وفسيفولد مايرهولد الذي قدّم مفهوم البيوميكانيك، حيث يتم التعامل مع الجسد كمنظومة دقيقة قادرة على إنتاج المعنى من خلال الحركة المنظمة، وكذلك جيرزي غروتوفسكي الذي ركّز على تقليل العناصر المسرحية الأخرى لصالح حضور الممثل الجسدي المكثف.

في هذا السياق، يصبح الجسد مركز العملية الإبداعية، إذ لا يُستخدم فقط كوسيلة تمثيل، بل كأداة تفكير وتعبير في الوقت ذاته. فكل حركة تحمل دلالة، وكل انتقال في الفضاء المسرحي يشكل جزءاً من السرد البصري. ويتعامل الممثل مع الفراغ المسرحي بوصفه مساحة قابلة للتشكيل، فيخلق من خلال حركته تكوينات بصرية قد تشبه اللوحات الفنية أو المنحوتات الحية. كما يلعب الإيقاع دوراً مهماً، حيث تتنوع السرعات والتكرارات والتوقفات لتوليد إحساس معين لدى المتلقي، سواء كان توتراً أو هدوءاً أو تصاعداً درامياً.

يمتاز المسرح الحركي أيضاً بقدرته على تجاوز الحواجز اللغوية، لأنه لا يعتمد على الكلام، مما يجعله مفهوماً لدى جمهور متنوع من ثقافات مختلفة. كما أنه يتيح التعبير عن موضوعات إنسانية عميقة بطريقة رمزية، فيبتعد عن المباشرة ويقترب من التجريد، وهذا ما يمنحه بعداً فنياً وفلسفياً مميزاً. ومن خلال هذا الأسلوب، يتعلم الممثل كيف يسيطر على جسده بدقة، وكيف يوظف الطاقة الداخلية والحالة النفسية في إنتاج حركة معبرة، الأمر الذي يتطلب تدريباً عالياً ووعياً جسدياً كبيراً.

بالمقارنة مع المسرح التقليدي، يمكن القول إن المسرح الحركي ينقل مركز الثقل من النص إلى الأداء، ومن الكلمة إلى الصورة، ومن السرد إلى الإحساس. فهو لا يروي الحكاية بشكل مباشر، بل يجعل المتلقي يشارك في تفسيرها من خلال ما يراه من إشارات وحركات، مما يفتح المجال لتعدد القراءات ويمنح العرض طابعاً إبداعياً مفتوحاً. لهذا يُعد المسرح الحركي من أهم أشكال المسرح المعاصر التي تسعى إلى إعادة اكتشاف الجسد بوصفه لغة فنية قادرة على التعبير العميق والمؤثر.